التأويل باعتباره منهجا فلسفيا

د. بلحنافي جوهر(*)

ملخص البحث

يعد المنهج في الفكر الفلسفي مسألة مهمة، ليس في تأطير الأفكار وضبطها منطقيا فحسب، بل في بناء هذه الأفكار وتكوينها، فإننا منذ ديكارت بدأنا نعرف كيف ينعكس منهج ما على صناعة الأفكار، وبناء التصورات، وإبداع المفاهيم وتشغيلها، إذًا الايكفي أن نمتلك أفكارا، بل يجب أن نمتلك منهجا لعرضها، ففي الفلسفة يعتبر المنهج طريقة للإيضاح والحجاج والنقد والتفكير.

لقد كان المنهج يمثل محورًا رئيسًا في مختلف القضايا الفكرية والعلمية وبدأت قيمته المعرفية تأخذ حيزا كبيرا عند مختلف الفلاسفة والعلماء عبر مر العصور، إلا أن الاهتمام بالمنهج ليس بوليد الوقت الراهن، بل يعود إلى عصر اليونان عرفه كل من أفلاطون وأرسطو في ذلك العهد، حيث كان الاهتمام آنذاك بالعلوم الفلسفة والرياضيات والمنطق اعتقادا منهم بأنها تؤدي إلى الحكمة وبالتالي أصبح المنهج مطلبا ملحا من المطالب المهمة بل وفي مقدمة الاهتمامات الفلسفية من أجل البحث والإمساك بالحقيقة... وظهرت مناهج على اختلافها وتعددها وأن كان الهدف واحد، فكان المنهج الابستمولوجي مع غاستون باشلار والفينومينوولوجي مع هوسرل والهرمينوطيقي، ويمكن القول إن المناهج الفلسفية ومنها التأويلي جاءت من أجل بحث ومساءلة العلوم الإنسانية ومواضيعها المهمة وما يتعلق بالذات الإنسانية والفكرية والعقلية وعلى هذا فإشكالية بحثنا ستتمحور حول ما التأويل وكيف تشكل وتطور تاريخيا وما برز ممثليه وما هي أهم تداعياته في ساحة العلوم الإنسانية؟

(*) أستاذة بقسم الفلسفة - معسكر الجزائر - الهاتف٠٠٢١٣٧٧٣٧١٩٤٧٧ - belhanafi.djouher@live.fr.

المدرسة التأويلية

تمثل أحدى التيارات المهمة والأساسية في الفلسفة المعاصرة، وقد انكبت بانشغالها بدراسة مختلف النصوص بكل ماهو قابل للفهم والتعقل، ولكن إذا تناولنا هذا المفهوم الهرمنيوطيقا والتأويل سنجد تعدد لتعريفات.

التأويل: interprétation

لغة: الترجيح والرد والتفسير، التدبر، حسن التقدير.

اصطلاحا: رد الشيء إلى الغاية المراد منه علما كان أو عملا.

التأويل عند العرب له ثلاث معان متباينة:

في القرن ٤هـ التأويل في أصله الاشتقاقي يدور حول معنى الرجوع، العودة وفي القرن ٧هـ يعني التأويل التفسير، التدبير، حسن تدبر الأمور.(١)

وقد أوضح الجرجاني هذا المعنى في كتابه التعريفات بقوله « التأويل في الشرع هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتب والسنة.

أما عند ابن رشد التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنة أو غير ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي.(٢)

اصطلاحا: كلمة الهرمنيوطيقا Interprétation الهرمنيوطيقا hermeneutic من herméneutique.

هذا المفهوم الغربي يرد إلى أصله اليوناني Hermeneutic, hermeneuein, hermenia بمعنى التفسير وقد كان مرحلة من مراحل التأويل أي اللاهوتي فلغة الوحي كانت فيحاجة لاستجلاء وفهم «هذا اللفظ مشتق من اليونانية hermès هرمس وهو رسول الآلهة عند اليونان يترجم ويشرح مقاصد الآلهةإلى البشر».

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت لطبعة والنشر، بيروت د ط مج ٣ص ٣٣.

(٢) ابن رشد فصل المقال تقرير مابين الشريعة والحكمة من اتصال، محمد عمارة، دار المعارف القاهرة ط٢، ١٩٦٩ص٣٤.

و« كلمة tek ne تشير إلى الفن بالمعنى الاستعمالي التقني لآليات ووسائل لغوية ومنطقية وتصورية واستعمالية الرمزية»[١]من هنا كنا التأويل مرادفا الهرمنيوطيقا والهرمنيو طيقا per hermeneias هي أحدى مؤلفات أرسطو وكان موضوعها منطق القضايا وبنية النحوية التي تسمح بالربط بين الموضوع والمحمول من أجل الكشف عن خصائص الأشياء»[٢].

فالهرمينيا عند أرسطو تشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو بكذبه التأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر إذ يصوغ حكما صادقا عن شيء ما غير أنه يفصل بين المنطق والتأويل فالمنطق ينطلق من مقارنة العبارات المعلنة بينما التأويل هو إعلان وصياغة العبارات ذاتها أي التعبير عن صدق شيء ما، فالتأويل بوصفه تفسيرا الأرسطو.

الاتجاه الثاني لمعنى «التأويل» في الاستخدام القديم هو أن نشرح هو اتجاه يؤكد البعد التفسيري للفهم وليس مجرد البعد التعبيري فالكلمات بعد كل شيء «لا تقول» شيئا ما فحسب بل لتفسيره أيضا وتشرحه وتوضحه فإذا كان التعبير عن المواقف هو ذاته تأويلا فان تفسيره أو شرحه هو أيضا شكل من أشكال التأويل.

التأويل هو ترجمة:

إن الهرمنيوطيقا في مراحلها التاريخية الأولى كانت دائما تشمل الترجمة اللغوية سواء بوصفها تأويلا للفلسفة الكلاسيكية أو تأويلا للكتاب المقدس أن ظاهرة الترجمة هي لب لباب الهرمنيوطيقا في الترجمة يواجه المرء الموقف التأويلي الأساسي الخاص بتجميع معنى النص والتعامل بالوسائل النحوية والتاريخية وغيرها من أدوات فك رموز النص القديم.

مفهوم الهرمينوطيقا سمي في بعض الكتابات بعلم التأويل أو التأويلية الذي يبحث عن تفسير النص ومفهمه Interprétation لفظة الفرنسية مشتقة من «الأول وهو لغة الرجوع وترادف التفسير، وقيل هو الظن بالمراد والتفسير القطع به، فالفظ المجمل إذ ألحقه البيان بدليل ظني يسمى مؤولا بدليل قطعي يسمى مفسر»[٣]

(١) عامر عبد زيد، قراءات في الخطاب الهرمينوطيقي، ابن نديم للنشر والتوزيع الجزائر ط١، ٢٠١٢ص ٧.
(٢) مراد وهبه المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة دط ٢٠٠٧ صص ٦٦٦٦٦٥.
(٣) عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة ط٢، ٢٠٠٠، ص١٧٥.

فالتأويل أو الهرمينوطيقا هي علم ينظم إستراتيجية القراءة، فهي إذن ذلك العلم الذي يهتم بالقراءة وما تستوجبه هذه العملية من آليات تقوم عليها، وكأنه يجعل من القراءة النقطة الرئيسية في العملية الفكرية بحيث يقوم هذا العلم على خدمة القراءة، وبالتالي على النص المقروء باعتباره نصا قابلا لعملية التأويل بمقابل عربية interprétation فإننا نجد كلمة الترجمة في الفرنسية التأويل الذي يتعدى شرح النصوص المقدسة لغويا إلى مرحلة أخرى أعمق يغدو فيها فنا أو جمالية يعني بأبنية النصوص الدخيلة وحقائق ها المضمرة التي تتجاوز المعلن، وحتى الداخلي إلى ما هو أيديولوجي وتاريخي وثقافي، فيكون التفسير بذلك مرحلة أولى تسبق التأويل»[١].

شلايرماخر وعلم الفهم

فريدريك شلايرماخر schlarmacher ١٧٦٥ - ١٨٣٤ لقد أحدث انقلاب في تاريخ الفكر وفي تاريخ الفلسفة عامة يقول شلايرماخر « اعتقدنا جميعا انه يمكننا الفكر في تاريخ عامة يمكننا أن نثق في المعنى الصحيح للمبادئ الكونية لكن أن نعتمد على الحدوس الجيدة للمبادئ الجزئية».

لقد استطاع شلايرماخر نقل الهرمنيوطيقا من دائرة استخدامه اللاهوتي إلى دائرة مجال تحليل النصوص حيث تكون الهرمنيوطيقا علما أو فنا لعملية الفهم والتفسير.

وقد جعل الهرمنيوطيقا مهمتها الأساسية في تحقيق التجانس بين النص، والناقد حيث يعلم القارئ الحدث النفسي للمعنى الذي خضع له المؤلف أولا. حيث يقول شلاير ماخر إن التأويل لا يتميز عن الفهم إلا بكونه خطابا على الصوت لخطابه الداخلي»[٢]، فالخطاب منتج داخل ذات مفكرة فالحوار ينشا بين ذاتيين مفكرتين عبر الوسيط اللغوي «الخطاب هو وسيط التفكير، وهو ما يفسر بأن الخطابة والهرمنيوطيقا تسيران معا».[٣]

---

(١) عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر ط١، ٢٠٠٨ص٨٦

(٢) Gadamar «l'art de comprendre ,ecrits ii hermènetique et champ de lèxpèrience» tard pierre fruchon et autres, aubier; paris ١٩٩١p ٣١

(٣) schleiermacher ,ibid p١١٤

تصور شلايرماخر للهرمنيوطيقا:

لقد اعتبر أن النص هو الوسيط اللغوي ينقل المؤلف إلى القارئ وبالتالي فهو يشير - في جانبه اللغوي - إلى اللغة بكاملها و يشير في جانبه النفسي - إلى الفكر الذاتي لمبدعه»[١]، فهو يرى انه لابد من قيام (علم) أو فن يعصمنا من سوء الفهم ويجعلنا أقرب إليه، «فالمفسر يحتاج للنفاذ إلى متون النص إلى موهبتين، الموهبة اللغوية والقدرة على النفاذ إلى الطبيعة البشرية»[٢]

الموهبة اللغوية وحدها لا تكفي لأن الإنسان لا يمكن أن يعرف الإطار اللامحدود للغة « كما أن الموهبة في النفاذ إلى الطبيعة البشرية لا تكفي لأنها مستحيلة الكمال لذلك لابد من الاعتماد على الجانبين ولا يوجد ثمة قواعد الكيفية تحقيق ذلك»[٣].

العلاقة بين فكر المؤلف

بين الإطار اللغوي الوسيط الذي يتم فيه التعبير، يحدد شلايرماخر جانبين الذين يحكمان طبيعة هذه العلاقة بين الجانب الموضوعي والذاتي.

الجانب الموضوعي المتمثل في لغة النص إذ يمكن للقارئ الفهم الشامل الدقيق لأنواع الألفاظ والصور اللغوية والثقافة التي عاشها مؤلف النص وساهمت في خلق تفكيره وآرائه.

الجانب الذاتي أو السيكولوجي: ويتمثل في فكر المؤلف وذهنيته أي الوعي الفنيو النفسي بذهنية المؤلف الإبداعية والوصول إلى مقاصده من النص، فالمفسر مطالب مهما ابتعد عن زمن المؤلف عليه أن يبتعد عن ذاته وافقه التاريخي الراهن لفهم النص «أن يساوي نفسه بالمؤلف ويحل مكانه عن طريق إعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص».[٤]

---

(١) نصر حامد ابوزيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ٢٠٠١ط ٦ص١ - scheirmarcher «hermènetique» tar chrisianBerner.cerfpul.paris&987p114.

(٢) ابن مزيان بنشرقي والآخرون - من مناهج النقد الفلسفي - دروس في المنهجية - دار الغرب للنشر والتوزيع دس ط ص١١١.

(٣) نصر حامد أبو زيد مرجع السابق، ص ١٩.

(٤) هاشم الهاشمي فهم النص، عرض ونقد مقال بالانترنيت.

لقد توسع حركة التأويل من قراءة النص المقدس إلى فحص وتمحيص مختلف النصوص في جميع الميادين.

دلتاي ونقد العقل التاريخي

فليهام دلتاي W. Dilthey (١٨٣٣ - ١٩١١) بعد وفاة شلايرماخر ١٨٣٤ تراجع مشروع الهرميوطيقا العامة، وحدثت ردة في الفكر التأويلي وعدة حدود الأفرع التخصصية لتصبح الهرمنيوطيقا مرة أخرى تأويلا فيلولوجيا أو قانونيا وتاريخيا بدلا أن تكون فن الفهم كما أراد لها شلاير ماخر.

يقول دلتاي «ليس التأويل إيجاد معنى لشيء لم يكن له معنى ولا هو نصب دلالة لموضوع يبحث عن دلالته و إنما هو إحالة من دلالة إلى أخرى و إعادة تأويل معنى سابق وتأويل المعنى محددا لا معنى له سوى انه تجديد الفهم نفسه»[١].

فليس من خلال الاستبطان يتم الفهم بل من خلال التاريخ وحده يتأتى لنا أن نفهم أنفسنا أن مشكلة فهم الإنسان هي مشكلة استعادة ذلك الوعي بـ «التاريخية» ووجودنا الخاص والذي ضاع في مقولات السكونية للعلم، فالطبيعة هي ما نفسر والإنسان ما نفهم حسب قول دلتاي وهنا يميز بين التفسير كمنهج علوم الطبيعة والفهم أساس العلوم الروحية (علوم الإنسان)، ففهم الإنسان ليس فهما مباشرا بل غير مباشر أي من خلال التأويل إننا نلج إلى داخل الدراسات الإنسانية ومقولات الفهم وليس إلى مجرد التفسير «التاريخ وحده هو الذي يمكن أن ينبئه لايخبر الإنسان ماهو وماذا يريد إلا في تطور طبيعته عبر قرون»[٢]مع دلتاي تم التأسيس لمبدأ حديث فن التأويل وهذا بفهم بضرورة فهم النص انطلاقا من النص نفسه، فالنص يستقل بحقيقته عن كل توجه يسجنه في إطاره الخاص فالهرمنيوطيقا عند دلتاي هي التي تنير لنا الطريق للوصول إلى النظرية عامة في الفهم «إنها الوصول إلى معاني النصوص المكتوبة بما فيها النصوص القانونية والتعبيرية والأدبية والدينية»[٣] وهنا يتم التركيز على المقطوعات الغامضة والمجازية التي يتعذر فهمها، إن مفهوم التأويل يتعلق بعملية الفهم أي

(١) على حرب، التأويل والحقيقة إجراءاتتأويلية في الثقافة العربية دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧ ص ٢٣.

(٢) عادل مصطفى المرجع السابق ص ٩٩.

(٣) ميجان الروبي، سعد اليارغسي، دليل الناقد الأبدي المركز الثقافي العربي المغرب ط٣، ٢٠٠٢ص ٨٩.

فن فهم النصوص، وقد عرف تطورا منهجيا حيث كان قاعدة أساسية لمجمل التطورات التي وقعت في مجال علوم الإنسانية، فان التأويل لم يكتب مكانته اللائقة ضمن منظومة العلم الإنسانيةإلا من خلال ظهور ما يسميه غادامير «ميلاد الشعور التاريخي»[١]،

لقد أصبحت الهرمنيوطيقا معه بمثابة منطق جديد لعلوم الفكر مقابل علوم الطبيعة فمنهج علوم الطبيعة هو التفسير أما منهج علوم الفكر الإنسانية هو الفهم أو التأويل فالهرمنيوطيقا عند دلتاي هي أساس كل العلوم الروحية أي الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية يقول دلتاي «إن قدرة حياتنا واتساعها وحيوية انعكاس تفكيرنا عليها هما أساس الرؤية التاريخية إنها وحدها تمكننا من أن نعطي حياة أخرى لضلال الماضي»[٢]، فالمفسر مطالب إزالة الفاصل التاريخي بينه وبين المؤلف رفض جميع الأحكام والقناعات المسبقة التي وصلت لوعي المؤلف من ظروفه وعصره الراهن والتجرد من قيود تاريخه المعاصر فدلتاي ينكر إمكانية فصل معنى الحقيقة التاريخية عن عمل التجربة الذاتية»[٣]فمعرفة الشعورية لا تكون بالتفسير وإنما بالفهم معرفة الإنسان للإنسان اكتشاف الأنا وأنت.

غادامير والحقيقة والمنهج

ما هو أساس التأويل عند غادامير؟

تحدث غادامير Gadamer (١٩٠٠ - ٢٠٠٢) عن التأويل مشيرا إلى الفروض يرى أن التأويل هو الكشف عن المسكوت عنه والمتخفي والمستتر من خلال الأفكار والآراء «وقد أشار إلى المرجعيات التي تدعم هذه المنهجية التأويلية المعاصرة مثل اللاوعي عند فرويد وعلاقات الإنتاج ودورها في تشكل الواقع الاجتماعي عند ماركس ومفهوم الحياة وصياغته للفكر عند دلتاي والفكر التاريخي ومفهوم الكينونة عند كير كجارد»[٤].

---

(١) عمر مهيبل، من النسق إلى الذات قراءات في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف الجزائر ط١، ص٢٠٠٢ص ١٥٩

(٢) هشام شربي، دلتاي الفلسفة الوجود والتاريخ، ترمحمد شريح مجلة شريح مجلة النهار ديسمبر٢٠٠١ ص٤٠

(٣) بن شرقي بن مزيان والآخرون، من مناهج النقد الفلسفي، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران د ط س ص ١١٦

(٤) جو يدي وايت"نظرياتالتاويل والعقلانية العلميةلاختيار النظرية"ترجمة فاطمة كاظم الذهبي مجلة «المواقف الثقافي» العدد ١٢٠ - لسنة الرابعة بغداد اذار نسيان ١٩٩٩م ص ٩٥ - ٩٦.

ليست المشكلة كيف ينبغي أن نفهم؟ بلا لمشكلة في ماذا يقع عندما نفهم؟ تكتسب الهرمنيوطيقا عند غادامير أهمية خاصة كونها مرتبطة باللغة التي هي الطابع الأساسي لوجودنا في العالم على حد تعبيره بالإضافة إلى إنها الشكل الشمولي للعالم وهي تؤدي وظيفة ربط و إعادة توحيد العلاقة بين العالم التكنولوجي الموضوعي بنظم وجودنا الأساسية.

يلخص غادامير مفهوم التأويل قائلا «... يدفعنا علم التأويل إلى الاعتقاد بأن الرأي الذي ينبغي علينا فهمه رأي غريب يسعى إلى إيقاعنا في شرك سوء الفهم وأن مهمتنا استبعاد أي عنصر أن يزحف سوء الفهم من خلاله ونحن ننجز هذه المهمة من إجراءات التدريب التاريخي الخاضعة للسيطرة والنقد التاريخي المنهج الذي يمكن السيطرة عليه والذي له صلة بقوى التعمق السيكولوجي ويبدو لي هذا الوصف قيما من جانب معين إلا انه مع ذلك لا يتعدى كونه وصفا جزئيا للحياتية الشاملة التي تشكل الـ «نحن» التي هي ماهية ما نحن عليه جميعا ويبدو لي أيضا أن مهمتنا هي تجاوز النزاعات التي تشكل أساس الوعي الجمالي والوعي التاريخي والوعي التأملي الذي كان مقتصرا على أسلوب تجنب سوء الفهم والتغلب على اغترابات سوء الفهم هذا»[1].

الحقيقة والمنهج

في كتابه «الحقيقة والمنهج» ١٩٦٥ فغادامير في هذا الكتاب لا يوحد بين الحقيقة والمنهج إذ يرى إن لا يوجد توافق بين الحقيقة والمنهج بل يوجد فصل بينهما إذ يرفض المفهوم القائل بأن المنهج شيء يمكن تطبيقه على موضوع معين للخروج بنتيجة ما ويقدم الهرمنيوطيقا الفلسفية بوصفها وسيلة لتصحيح مسألة تعيين هوية الحقيقة والمنهج التي يرى أنها تميز العلوم»[2]، فالهدف عنده هو التميز بين الحقيقة بوصفها حقيقة وبين هيمنة وسائل وأساليب البحث عن الحقيقة، انه يميز بين الحقيقة المتدفقة والمنسابة مع الفهم وبين طرائق البحث والوسائل الأسلوبية المعتمدة عن طريق جعل فهم الدلالة اللغوية موازيا ومحاذيا للفهم التاريخي والجمالي للدلالة اللغوية نفسها وبهذا أصبحت اللغة في فلسفة التأويلية حقلا كونيا نعيه من

(١) هانز غادامير «شمولية المشكلة التأويلية» ترجمة خالدة حامد مجلة المواقف الثقافي العدد ١٤ السنة الثالثة دار الشؤون الثقافة العامة بغداد ١٩٩٨ص ٧١ - ٧٢.

(٢) بن شرقي بن مزيان والاخرون المرجع السابق ص١٢٣.

حلال القصدية التي تفرض أن يكون الوعي دائما وعي بشي ما، فهو يتجاوز تصور شلايرماخر للهرمنيوطيقا بوصفها سيكولوجيا الفهم ويرفض طرح دلتاي القائل باقتران التأويل بالمنهج ويأخذ بأنطولوجيا هيدجر التي تأخذ بالنزعة التاريخية والسلطة الزمنية في مركز أي مشروع فلسفي، كما يؤكد على ضرورة الثقة بالمرجعية الإنسانية أي إحياء مفهوم لانحياز للحكم المسبق préjudice.

يقترح منهج التأويل بنموذج الجدلية الأفلاطونية ففن الحوار عند غادامير هو توجيه الصحيح للأسئلة حتى تكون في خدمة الموضوع بالانتباه إلى الجواب المقدم والاعتراف بصلاحيته بحل المشكل وبفن التأويل يمكن الدخول في حوار مع النص هذا الحوار هو الذي يقلص المسافة بين النص وقارئه لأن الفهم عند غادامير لا يمثل «فعل ذاتية الفرد بل وضع المرء نفسه داخل سيرورة التراث التي ينصهر بها الماضي والحاضر باستمرار»[١]، وقد أكد على أهمية اللغة بحيث أنه يشبه فهم النص بفن الخطابة وبالتالي فهو متحد أساسا بالعنصر اللغوي «فافهم هو الوعي التاريخي الذي يفسر التاريخ نفسه من خلال اللغة واللغة هي الأفق الوجود ككائن سابق مثل الوجود الإنساني، والفهم فيغضون ذلك لا يتحدد في طريقة لمعرفة الحقيقة الخارجية للإنسان فهو طريقة لتفسير ماهو بداخل اللغة»[٢].

التأويل وفهم الذات عند ريكور P - Ricœur (١٩١٣ - ٢٠٠٦)

لقد اهتم بول ريكور بمسألة التأويل اهتماما جعل منه يرغب في محاولة وضع أسس علمية له وللفهم بصفة عامة كما حرص على ربط بين الطابع الأنطولوجي والابستيمولوجي لتأويل النص أي محاولة فهم الذات لوجودها من خلال النص من جهة ومعرفة القواعد المنهجية في تحليلها لهذا النص من جهة أخرى «فالفهم طريقة في الوجود قبل أن يكون طريقة في المعرفة»[٣].

لذا شكل التأويل موضوعا محوريا في فلسفة بول ريكور بحيث أن «حديث ريكور عن التأويل هو محور فلسفته ورؤيته هو حديث عن أساليب والمناهج أو الوظائف والمفاهيم

(١) بن شرقي بن مزيان المرجع السابق ص١٢٤

(2) Dario Composta;Gadamar et son herméneutique universelle;catholica n86decembre 2004p43

(3) Ricœur «lectures ii la contré des philosophes» seuil ,paris 1992p453

التي تجعل منه نشاطا فكريا وسبيلا معرفيا»[١]، فكتابه la theorie de l'interprétation ١٩٧٦ هو مزيج من اللسانيات دوسوسيور وجاكوبسن ونظرية أفعال الكلام والظاهراتية والهرمنيوطيقا والتحليل النفسي.

«يتميز التأويل في نظر ريكور بخاصية التملك أو الامتلاكl'appropriation لأنه إنجاز أو تحقيق فعلي للإمكانات الدلالية الكامنة في النص داخل الخطاب الخاص بالذات المؤولة»[٢]، فالنص عند بناء المعنى الذي يختص بخطاب الذات التي تهتم بالفهم بحيث يصبح فهما خاصا بهذه الذات المؤولة قد يعكس نوعا من العلاقة بين الذات الإنسانية واهتماماتها فالفعل الإنساني تماما مثلما ينطبق على النص.

لقد ظلت فكرة المنهج مسيطرة على الهرمنيوطيقا ريكور باستمرار فقد ثمن حرص شلايرماخر على بناء منهج لعلم التفسير، وإقحام دلتاي لمفهوم الآثار المكتوبة ومحاولة لبناء منهج موضوعي لدراسة الحياة الإنسانية وأعاب على غادامير عدم اهتمامه بشكل كاف بفكرة المنهج، فهو يقول «لابد من ترتيب المصطلحات الثلاث على النحو التالي: الفهم comprendre تأويلinterprète وتفسير expliquer بدلا من أن نجعل التأويل مرادفا للفهم والتفسير مقابلا للفهم كما هو الحال عند دلتاي Dilthey ولكن دمج فهم وتفسير في التأويل»[٣].فقد توصل إلى إيجاد علاقة متكاملة ومتبادلة بين التفسير والتأويل دون تحديد مفهوم القراءة.

ضرورة التأويل كمنهج

لا يقتصر التأويل على شرح النصوص المقدسة فحسب، بل له أهميته تعكس صورته الفنية والجمالية من خلالها ينفذ إلى أعماقها الداخلية محاولا الكشف تلك الحقائق الغامضة التي تحتاج إلى من يبرزها ويجعلها تظهر بصورة علنية، لأنها محتجبة تحت لغة النص لذلك فهي في حاجة إلى تلك الآلية التي بواسطتها تصبح قريبة من المبتغى الذي يقصده الباحث في هذا المجال، مما يجعلنا لا نتوقف عند التفسير الذي يعنى بشرح الألفاظ والمفردات وإنما يتعدى ذلك

(١) محمد شوقي الزين، الإزاحة والاحتمال، صفائح نقدية في الفلسفة الغربية منشورات الاختلاف الجزائر٢٠٠٨ ط١ - ص١١٨.

(٢) سعيد توفيق، مقالات في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠٢ص٨٨

(3) Michel Philibert,PaulRicoeur ou la libertè selon lèspèrance; èdititionsseghers;paris P187

إلى التأويل الذي يذهب إلى الجمل والمعاني وما تحمله في باطنها، غير «أن بول ريكور يحاول على عكس دلتاي التقليل من حدة التناقض والتعارض بين مقولتي التفسير والتأويل، ويبحث عن التكامل المتبادل بينهما»[١] ويبن ريكور أن التفسير قد خضع لتحويل أساسي نقله من مجاله الأصلي الذي وضعه دلتاي إلى مجال جديد فلم يعد مقتبسا أصلا من علوم الطبيعة، ولكن من النماذج اللسانية الخالصة»[٢]، «فنحن نفسر النص أولا بدراسة علاقاته الداخلية وتحديد بنياته الخاصة، ثم نؤوله بعد ذلك بأن نمنح لهذه العلاقات والبنيات دلالة معينة، وهذا ما جعل ريكور يعترف بإنجازات البنيوية التي وفرت لنا الأسس المنهجية العلمية لتحليل مكونات النص الداخلية أي التفسير»[٣] وهو يدعو في الوقت نفسه إلى ضرورة تجاوز هذه وعدم التوقف عنده، فمنهج التأويل يسمح لنا بكشف ميادين متنوعة ومتعددة وفق علاقات معرفية مختلفة، فهو مفتاح الذي لا بد منه لفتح المعاني المغلقة داخل النصوص وفهمها.

التأويل وفهم الذات

فالمسألة إذن لا تتعلق بالفهم الذي يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية وأنطولوجيتها التي ركز عليها هيدجر الذي اهتم بتجربة الذات في الوجود في العالم، فالتأويل لم يعد فهم من أجل فهم النص بل الفهم عبر النص للعودة إلى الذات الإنسانية، فالنص ماهو إلا مرآة تقرأ الذات الإنسانية من خلاله ذاتها، إن هناك لانهائية الفهم الإنساني كما قال غادامير بحيث لا يبلغ الاكتمال أو اليقين، فهذا الفهم دائما يبقى فهما قابلا للفهم جديد أو قراءة دائمة لتلك المعارف التي نحركها حول العالم إن الغاية من توضيح وتأويل الخطاب بالكشف عن ماهو غامض من الدلالات العميقة لتلك الإشارات المتضمنة في هذا الخطاب.

يشير بول ريكور في هذا المجال إلى أربع موضوعات تخص تأويل النص وهي:

١- العلاقة التي يمثلها النص بين الكلام والكتابة.

---

(١) عبد الكريم شرفي - من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة - دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة - منشورات الاختلاف الجزائر ٢٠٠٧ط الأولى ص ١٨ ص١٩.

(٢) بول ريكور، النص والتأويل - تر منصف عبد الحق مجلة العرب والفكر العالمي العدد٣ صيف ١٩٨٨ ص٣٦.

(٣) عبد الكريم شرقي المرجع نفسه ص ١٩.

٢- النص منظورا إليه بوصفه عملا مبنيا.

٣- التصور الذي يحمله النص عن العالم.

٤- النص بوصفه فهما ذاتيا متوسطا.

تعد هيرمنيوطيقا بول ريكور على فهم الكينونة بوصفها مجموعة العلاقات ذات أهمية خاصة تدفع باتجاه تفسير هذه الكينونة، ومنح المشروعية لتعدد المعاني الكامنة في المفردة الواحدة والرموز الدينية، وهذا ما أكده ريكور نفسه إذ قال «ليس هنالك من تأويل عام، وليس هنالك من قانون ثابت يقيد عمل تفسير نص بعينه بل هنالك نظريات منفصلة الأسس ومتعارضة تقوم على بحر من التيارات الدلالية.»[١] لا تكون القراءة الأولى (التفسير) ممكنة إن النص ينتظر قراءة ما باعتباره نصا مفتوحا على حد ذاته وبالتالي إنتاج خطاب جديد، من هنا يبقى التأويل محتفظا بخاصية الامتلاك أي أننا كذات مؤولة نمتلك فهما متجددا للنص ولذاتنا في نفس الوقت فهو متجددا للنص ولذاتنا في نفس الوقت فهو يقصد بالامتلاك، «أن تأويل النص يجب اكتماله داخل تأويل الذات المؤولة لذاتها، حيث تفهم ذاتها ابتدءا من تأويلها للنص بشكل أحسن ومغاير وتبدأ بتحقيق ذلك الفهم الذاتي حيث يتحقق ترابط وتكامل بين الهرمنيوطيقا وبين تأمل الذاتي»[٢] بمعنى أن فهم الذات عبر الرموز الثقافية التي تتوقف الذات داخلها وأنفهم النص لا يكون غاية في ذاته بل تتوسط الذات بذاتها، وعليه يقول ريكور «أن تأمل الذات لذاتها لن يتحقق دون وساطة الرموز والعلامات والآثار الثقافية المكتوبة»[٣]، وهكذا يتحقق عند ريكور معنى النص، ويصبح مكشوفا، يدركه القارئ بوصفه طريقة للكينونة في العالم، ويساهم فيتنقل معناه.

لقد اعتبر ريكور إن هناك نظامين من الهرمنيوطيقا في الأزمنة الحديثة:

الأولى: نزع الطابع الأسطوري حيث نتعامل مع الرمز بعودة حب استرداد المعنى الخفي فيه.

---

(١) لزهر عقيبي - جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، منشورات الاختلاف االجزائر ط١ - ٢٠١٢ ص١٤٩.

(٢) بول ريكور، النص والتأويل، ترجمة منصف عبد الحق مجلة العرب والفكر العالمي العدد ٠٣ صيف ١٩٨٨ ص ٤٧.

(٣) المرجع نفسه ص ٤٨.

الثانية: تعمد إلى تدمير الرمز بوصفه تمثيلا لواقع زائف، إنها نزع الأقنعة وتحطيم الأوهام في محاولة عقلنية للكشف عن الزيف كما فعل لإرتيابيون كنتشيه، ماركس فرويد، بتأويل الواقع السطحي على انه زيف وكذب وقدموا نسقا فكريا من شأنه أن يهدم هذا الواقع.

استنتاج

تنوع روئ الفلاسفة واختلافها حول منهج الطرق التأويل وطبيعته إنما ذلك يجعل من منهج التأويل يسمح لنا بكشف ميادين متنوعة ومتعددة وفق علاقات معرفية مختلفة فهو المفتاح الذي لابد منه لفتح المعاني المغلقة داخل النصوص، وفهمها والفهم، هنا يتعلق بكل أنواع النصوص على اختلافها وتنوعها، وبالتالي فهو يقوم بعملية فحص لهذه النصوص داخليا، وربطها بسياقاتها عامة خارجيا مع مجاوزة ذلك التصور الكلاسيكي لعملية الفهم، هذا الفهم الذي يقترن بالظواهر الاجتماعية والسلوكات الفردية وكذا مختلف الأحداث التاريخية والإبداعات الفنية والجمالية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

١- ابن رشد فصل المقال تقرير مابين الشريعة والحكمة من اتصال، محمد عمارة، دار المعارف القاهرة ط٢، ١٩٦٩.

٢- أدرنو، جدل التنوير، ترجمة جورج كنورة دار الكتاب الجديد بيروت ط الأولى ٢٠٠٦.

٣- جون فرانسوا دورتييه - فلسفات من عصرنا، تياراتها ومذاهبها، أعلامها وقضاياها، ترجمة إبراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف الجزائر، ٢٠٠٩ط الأولى.

٤- ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طربيشي دار الآداب ١٩٨٨ ط ٣ بيروت.

٥- ماركيوز، نحو الثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة دار العودة بيروت ١٩٧١.

٦- أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلمة، النمطية، دار الأمان المغرب ٢٠٠٠ ط١.

٧- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٥.

٨- بونرروديجر، الفلسفة الألمانية الحديثة ترجمة فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط ١٩٨٦.

٩- هاو، ألن، النظرية النقدية ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة السورية ٢٠٠٥د ط، الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة -، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٥.

١٠- بن مزيان بن شرقي والآخرون - من مناهج النقد الفلسفي - دروس في المنهجية - دار الغرب للنشر والتوزيع دس ط.

١١- عامر عبد زيد، قراءات في الخطاب الهرمينوطيقي، ابن نديم للنشر والتوزيع الجزائر ط١، ٢٠١٢.

١٢- عادل مصطفى - مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير - دار النهضة العربية بيروت ط١، ٢٠٠٣.

١٣- عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر ط١، ٢٠٠٨.

١٤- عبد الكريم شرفي - من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة -دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة - منشورات الاختلاف الجزائر ٢٠٠٧ط الأولى.

١٥- على عبود المحموداي، إسماعيل مهنانة، مدرسة فرانكفورت النقدية، ابن نديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية ناشرون الجزائر ط الأولى ٢٠١٢.

١٦- على حرب، التأويل والحقيقة إجراءات تأويلية في الثقافة العربية دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧.

١٧- عمر مهيبل، من النسق إلى الذات قراءات في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف الجزائر ط١، ص٢٠٠٢.

١٨- ميجان الروبي، سعد البارغسي، دليل الناقد الأبدي المركز الثقافي العربي المغرب ط٣، ٢٠٠٢.

١٩- محمد شوقي الزين، الإزاحة والاحتمال، صفائح نقدية في الفلسفة الغربية منشورات الاختلاف الجزائر٢٠٠٨ ط١.

٢٠- نصر حامد أبوزيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ٢٠٠١، ط ١.

٢١- لزهر عقيبي - جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، منشورات الاختلاف الجزائر ط١ - ٢٠١٢.

المراجع الأجنبية

22- Dario Composta;Gadamar et son herméneutique universelle; catholico n 86 decembre 2004.

23- Gadamar «l'art de comprendre, écrits ii herméneutique et champ de l'expérience» tard pierre fruchon et autres, aubier; paris 1991p 31.

25- Michel Philibert, PaulRicœur ou la liberté selon l'espérance; éditionsseghers; paris P187.

24- Ricœur «lectures ii la contré des philosophes» seuil, paris 1992 p453.

26- scheirmarcher «hermènetique» tar Christian Brenner.Cerfpull Paris 9871.

قواميسوالمعاجم

٢٧- ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت لطبعة والنشر، بيروت د ط مج.

٢٨- مراد وهبة المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة دط ٢٠٠٧.

٢٩- عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة ط٢، ٢٠٠٠.

دوريات

٣٠- مجلة العرب والفكر العالمي العدد ٠٣ صيف ١٩٨٨ بيروت.

٣١- بول ريكور، النص والتأويل، ترجمة منصف عبد الحق - مجلة العرب والفكر العالمي العدد ٠٣ صيف ١٩٨٨.

٣٢- مجلة «المواقف الثقافي» العدد ٢٠ - السنة الرابعة - بغداد - آذار نسيان ١٩٩٩م.

٣٣- جو يدي وايت «نظريات التأويل والعقلانية العلمية لاختيار النظرية» ترجمة: فاطمة كاظم الذهبي، مجلة «المواقف الثقافي» العدد ٢٠ - السنة الرابعة بغداد - آذار نسيان ١٩٩٩م.

٣٤ - مجلة «المواقف الثقافي» العدد ١٤ - السنة الثالثة - دار الشؤون الثقافة العامة - بغداد - ١٩٩٨.

٣٥- هانز غادامير «شمولية المشكلة التأويلية» ترجمة: خالدة حامد، مجلة «المواقف الثقافي» العدد ١٤ - السنة الثالثة - دار الشؤون الثقافة العامة - بغداد - ١٩٩٨.

٣٦- مجلة النهار، بيروت، ديسمبر ٢٠٠١.

٣٧- هشام شربي، دلتاي الفلسفة الوجود والتاريخ، ترمحمد شريح، مجلة النهار ديسمبر.

انترنيت

٣٨- هاشم الهاشمي فهم النص، عرض ونقد مقال بالإنترنيت.